الهام سعيد فريحة

الهام سعيد فريحة في «ايام على غيابه»

أيّام على غيابِهِ

ذكريات ذهبية في عالم سعيد فريحة

انه سعيد فريحة عملاق الصحافة اللبنانية وأحد اعمدتها الاساسية الذي لم نعش عصره، هو صاحب القلم والبسمة والهمسة واللمسة المليئة بالذكاء والحنكة السياسية وخفة الظل المفرطة هو ذلك اللبناني الاصيل، الذي كان مثالاً للعصامية، فباصرار قلما يمكن ان نراه في عصرنا الحاضر صنع سعيد فريحة صرح «دار الصياد» التي تحولت الى مدرسة، مدرسة سعيد فريحة الصحافية التي تخرج منها كبار الاقلام في لبنان والوطن العربي، سعيد فريحة من كبار بلادنا وفي الذكرى الثانية والثلاثين لغيابه قررت كريمته السيدة الهام فريحة ان تخلد ذكراه العطرة من خلال كتاب «ايام على غيابه» وبمبادرة فيها الكثير من روح سعيد فريحة لم تعرض الهام كتاب سعيد فريحة للبيع لأن الاخير كان كاتباً للجميع، كان منا ومعنا ولنا.

الكتاب ليس سيرة ذاتية وليس مجموعة ذكريات عن سعيد فريحة انما هو ابحار في عالم ذلك الكبير من بلادي يبدأ الكتاب بكلمة من الابنة الى الوالد انه حديث من القلب الى القلب تتحدث فيه الابنة الى ابيها الى ظرفه ولطفه وزجره تناديه بـ«سعيد» وكأنه يجلس امامها تتحدث معه حديث الابنة الى الاب والمعلم والمثل الاعلى وتعاهده بأن المسيرة مستمرة وان مدرسة سعيد فريحة ما زالت تفتح ذراعيها لكل طامح بالانتساب الى مدرسة صحافية عريقة.

هي تجربة الكتابة الاولى للهام فريحة، وربما الاخيرة كما تقول وتكشف للمرة الاولى علناً ما كان يتناوله همساً بأنها هي نفسها «نادرة السعيد» التي كانت تروي بأسلوب ممتع بعض التجارب الحياتية بالاضافة الى افكار ومواقف ومشاعر خاصة جداً بصاحبتها ها هي تكشف عنها مازجة ما بينها وما بين روح سعيد فريحة ملهمها الاول: سعيد، حسيبة «رفيقة العمر» عصام، بسام والهام، هي العائلة التي عاشت في كنفها الهام فريحة ربما اطلق على ابنه البِكر اسم «عصام» للدلالة على عصاميته فهو الرجل الذي صنع ذلك الصرح من لا شيء وكانت جعبته الشهيرة مليئة بكل ما يشتهيه القارىء في السياسة والفن والفكاهة، فكان سياسياً وفناناً وصاحب نكتة وسريع البديهة كان مزيجاً من الرجال اجتمع في ظل غياب الشقيقين في الخارج «لتأمين الدعم الضروري للعمل»

■ تعلم القراءة والكتابة على «اللوكس» فولدت «دار الصياد»

■ عنوانه في الحياة كان الوفاء وقصص في حياته اكبر دليل على ذلك

كان من الضروري ان تستمر دار الصياد بجميع مطبوعاتها من الصدور من بيروت فلا يمكن لدار سعيد فريحة ان تكون غير لبنانية وان تصدر من غير لبنان حملت الهام فريحة الراية متحدية كل ظروف الحرب المتبقية وكان التحدي الكبير والتشبث بفكرة واحدة «ليس لأحد حق تدمير لبنان تراث سعيد فريحة وعصاميته لا دولة ولا فئة ولا حزب ولا شخص» كانت الهام فريحة على استعداد لمواجهة كل شيء المهم الحفاظ على ارث سعيد فريحة وعلى الدار، ١١ آذار/مارس ١٩٧٨ كان يوم الفراق الحزين كان سعيد فريحة يؤدي في ذلك الوقت دوراً سياسياً وكان يريد تطويق حادثة في منطقة الفياضية بين عناصر من الجيشين السوري واللبناني فتوجه الى سوريا فخانه قلبه هناك وسقط تحت وطأة الشعور بالمرارة لما يحصل في بلده الحبيب فكانت الصرخة من ابنه الروحي ومن ابي الصحافة الفنية اللبنانية جورج ابراهيم الخوري تلميذ سعيد فريحة الذي آمن بموهبته وجعل منه قلماً فنياً يحسب له الف حساب «الهام الاستاذ مات» رحل سعيد فريحة وبقيت الهام سعيد فريحة امينة على الارث الكبير ولم يكن من السهل على الابنة الامينة ان تتجاوز هذه المحنة بسهولة ستة اشهر ولم تزل غير قادرة على استيعاب ان الوالد المثل الاعلى وعميد الدار قد رحل ولكن في انتفاضة على الذات وعلى الاحزان ومن أجل سعيد فريحة ومن اجل ان يبقى سعيد فريحة في داره وكأنه لم يمت وان تبقى روحه وحبه للحياة وظرفه الشديد مرفرفة على الدار فجاء هذا الكتاب كتحية من ابنة بارة الى والدها العظيم في ذكرى رحيله الـ ٣٢ وحلمها الوحيد «ان انجح في تحقيق بعض مما كان يسعى اليه».

تعصب نسائي

الحازمية بالنسبة لالهام فريحة هي العالم الذي انطلقت منه الى العالم الارحب فكان عالمها تلك «الضيعة» الصغيرة والدار وانطلقت منهما نحو عالم الصحافة عاشت الهام فريحة تجربة زواج لم يكتب لها النجاح وأثمرت عن ابنة وحيدة هي اغلى ما لديها في الوجود، واليوم اجمل ما في حياتها بالاضافة الى الدار حفيداها الياس والهام سركيس اللذان اهدتهما الكتاب «الى اغلى ما انعم الله على حفيدي الياس والهام سركيس» ولم تخرج الهام فريحة من تعصبها النسائي حيث تحدثت عن معاناة المرأة المرآة التي تساند بعلها في بداياته وعلى طريقة «عندما صار طار» من خلال قصص صديقاتها المقربات وأعطت للمرأة نصائح عدة ربما استقتها من تجارب والدها ومن تجربتها الشخصية وعنوانها العريض «احفظي كرامتك وارفعي رأسك واياك ان تكوني ضعيفة تجاه خيانة بعلك لك»، ولا تخلو روح الهام فريحة من الدعابة متأثرة بشخصية والدها عندما تتحدث عن تأثير افلام الرعب في حياتها فقد شجعها فيلم دراكولا وسلسلة افلام الرعب لألفرد هيتشكوك والتي نصحها شقيقها عصام بمشاهدتها على مواجهة «رعب الحياة» لا سيما رعب الاغراء في المجتمع الذي يتعامل فيه رجل في حق امرأة هل افلام الرعب امثولة للرجال ام النساء؟

تطرح الهام فريحة السؤال وسرعان ما تجيب: هو للمرأة فقط، فترى الهام فريحة أن المرأة الشرقية محكومة بعامل الخوف من المستقبل ومن بطش الرجل ومن خيانته ومن هنا لا بد من تنبيهها دون الاشارة بشكل مباشر الى ضرورة ان تكون مستقلةً مادياً حتى تصون كرامتها وتبقى دائماً صامدة في وجه الرجل الذي قرر البطش بها باستمرار عن سابق تصور وتصميم ومن نصيرة المراة تكشف الهام فريحة عن وجه آخر في شخصيتها وربما هو الوجه الاكثر شهرة في عالم

الصحافة وهو وجه الصحافية المشاكسة والمناضلة وتذكر من خلال الكتاب حادثة حصلت في عهد الرئيس اميل لحود حادثة طريفة في ظاهرها ولكنها تكشف عن السياسة المتبعة في ذلك العهد وهي «سياسة الاحتضان» وفحوى الرواية كما ورد في الكتاب «أن احد الوزراء السابقين في عهد لحود زارها في مكتبها وروى لها حادثة ذات دلالة عما كان يدور في كواليس ذلك العهد، كان هناك فتاة رائعة الجمال تعمل موظفة استقبال في احد الاندية الرياضية الذي يضم مسبحاً اولمبياً شتوياً وكان يرتاده اشخاص مهمون مع مرافقيهم، بعد فترة جرت تشكيلات دبلوماسية فألحقت موظفة الاستقبالات ببعثة لبنان الدائمة في الامم المتحدة وحينما تجرأ احد الوزراء على الاستفسار جاء الجواب بأنها «سياسة الاحتضان» للطاقات المنتجة للافادة من خبراتها وسياسة الاحتضان تلك لم تقتصر فقط على السلك الدبلوماسي بل امتدت ايضاً الى وزارات اخرى وان سياسة الاحتضان ادت بنا وبالجمهورية الى «هاوية الاحتضار» على حد تعبير الوزير ولكن هذه السياسة ما لبثت ان توقفت في العهد الحالي فعادت موظفة النادي الرياضي الى صالة الالعاب الرياضية وهذه السياسة اي سياسة الاحتضان كانت تطبق فقط تحت شعار «للنساء فقط».

من خلال ما ترويه الهام فريحة تكشف لنا عن كواليس ما كان يدور في ذلك العهد وان الوطن اذا ما ذهب نحو الهاوية ليس بسبب الممارسات السياسية والامنية الخاطئة وانما ايضاً بسبب ممارسات خاطئة وضعت الدولة في موقع الدولة المتهالكة التي لم يكن يحكمها اية ضوابط وبالرغم من انها تناصر قوى الرابع عشر من آذار/مارس الا انها سيدة منفتحة بكل المقاييس دون ان تبتعد قيد انملة عن مبادئها لذلك لا يمكن ان تحضر سهرة من لون واحد و«السما زرقا» لذلك اكثر ما يهمها هو «الصدق والاستقامة والوفاء» وهي المبادىء التي ورثتها عن والدها الغائب الحاضر في ثنايا الكتاب فسعيد فريحة عرف عنه وفاؤه الشديد لأصدقائه وكان لديه حظوة عند الملوك والرؤساء بسبب هذه الصفة وخاصة الزعيم جمال عبدالناصر الذي كان يستقبله كلما زار مصر، وكان فريحة يرسل الى مصطفى امين عندما كان مسجوناً بسبب اتهامه بالتجسس ضد مصر لصالح الولايات المتحدة، كل ما يريد من التفاح اللبناني ومن الحلويات اللبنانية وفتحت «دار الصياد» ابوابها للتوأم علي امين لكي يكمل مسيرته الصحافية عندما اصبحت الاقامة في مصر شبه مستحيلة بالنسبة له، هذا هو سعيد فريحة وهذا هو الوفاء والصدق الذي تتحدث عنه الهام فريحة.

مجلس وجاهة

تعرج إلهام فريحة في كتابها على نتائج الانتخابات النيابية لتشرح نفسية المواطن اللبناني المتعلق بالمظاهر مهما علا شأنه فالنائب الذي خرج ظافراً في تلك الانتخابات لا يفكر سوى بربطة عنقه وأناقته أما زوج النائب المهزوم فتتحول حياتها إلى جحيم بعد ان فقدت كل مظاهر السلطة والاحساس بالتفوق على مثيلاتها ومشكلة النيابة في لبنان كما تقول إلهام فريحة «هي مشكلة الوجاهة وان مجلس النواب تحول إلى مجلس وجاهة». الحب والتفاؤل والتشاؤم عند إلهام فريحة تأتي من مفاهيم سعيد فريحة للحب والتفاؤل ويبدو ان تلك النظرة انسحبت على ابنته التي ترى ان الحب ليس حب الرجل إلى المرأة وبالعكس، بل الحب هو عطاء بالمعنى المطلق للكلمة ومن هنا جاءت مؤسسة سعيد فريحة للخدمات الانسانية والتي لم تفرق في عطاءاتها بين أي مواطن لبناني من أي دين أو مذهب أو منطقة وبالرغم من كل العقبات التي تواجهها في حياتها اليومية عندما تنتقل من منزلها باتجاه مكتبها والتي تصفها بطريقة مقربة جداً من القلب، هذا بالإضافة إلى مشاكل مهنة البحث عن المتاعب والماء والكهرباء وكل المشاكل التي تؤثر على أعصاب وأداء الانسان الا أنها تحولها إلى مادة للسخرية القريبة من النقد اللطيف دون تجريح وهي مدرسة سعيد فريحة نفسها التي تنتقد دون أن تجرح أو تدمي. ومن هنا أتى انتقادها للوزير جبران باسيل الذي لم يهدأ طوال فترة توليه وزارة الاتصالات وهو يتحدث عن المافيا وعن المافياويين دون أن يتجرأ عن ذكر اسم واحد من هؤلاء. فهل جبران باسيل يتحدث عن مافيا في عقله فقط؟ لذلك نصحته بطريقة غير مباشرة في قراءة كتاب «لاكوزا نوسترا» الذي يتحدث عن المافيا الإيطالية صحيح ان إلهام فريحة ليست يسارية أو اشتراكية إنما يظهر في الكتاب انحيازها الكامل إلى المواطن البسيط وإلى الطبقة ما دون الوسط الطبقة التي أتى منها والدها وصنع مجده الصحافي ومدرسته في عالم القلم فهي لا تتوانى عن انتقاد البذخ الذي كان يحدث خلال الرحلات الرئاسية في العهد الماضي وبدل ان تصرف تلك الأموال على الزيارات بدون فائدة والتي كانت تتم بصورة سرية خلال الرحلات الرئاسية فكان حرياً بهؤلاء أن يصرفوا تلك الأموال على المواطنين اللبنانيين الواقعين تحت وطأة الأزمات الاجتماعية المتلاحقة.

وأخيراً وليس آخراً من سيقرأ الكتاب لا بد أن يتوقف طويلاً عند «لوكس سعيد فريحة» فهذا اللوكس يمكن أن يختصر رحلة طويلة من الكفاح من أجل الوصول إلى القمة فسعيد فريحة هو ذلك الرجل الذي عشق الصحافة حتى الثمالة تعلم على ضوء «اللوكس» الذي ما يزال يستعمله البعض إلى الآن عند انقطاع التيار الكهربائي فتعلم القراءة والكتابة على ضوء اللوكس في حلب حيث هاجر مع والدته واخوته وتوفيت من بعدها وكان والده قد هاجر إلى البرازيل خلال الحرب العالمية الأولى حيث كان يسعى وراء لقمة العيش وكان عمره سبع سنوات. فتجسدت عبقريته التي كان نتيجتها صرحاً من صروح الصحافة في لبنان والوطن العربي وهو «دار الصياد».

غنوة دريان